

المؤتمر الختامي لمشروع Tempus-TLQAA جامعة البلمند

ملاحظات ختامية

كلمة الترحيب

سعادة مدير عام التعليم العالي الدكتور الجمال ممثلاً معالي وزير التربية والتعليم العالي الأستاذ دياب،

سعادة السفارة إيخورست لرئيسة بعثة الاتحاد الأوروبي في لبنان،

حضرة رؤساء الجامعات،

حضرة رؤساء النقابات الدكتور الذوق، والأستاذ جريج ممثلاً بالأستاذ طوبيا، والأستاذ بصيص ممثلاً بالأستاذ حاج،

حضرات أعضاء المؤسسات الأكاديمية الأوروبية واللبنانية،

أعزائي الطلاب والزملاء،

أهلاً بكم في جامعة البلمند.

منذ أقل من سنتين خلت، وفي 26 كانون الثاني 2012، اجتمعنا هنا في القاعة نفسها وبرعاية وحضور معالي الوزير دياب وسعادة السفارة إيخورست لإطلاق مشروع Tempus-TLQAA. وكثفت كلمات السفارة، والوزير، والرئيس الدكتور ايلى أ. سالم الملقاة ذلك النهار هذا المشروع ومساره.

إنجازات المشروع

ووعدنا في ذلك النهار، زملائي وأنا، بتحقيق أهداف المشروع. أرجوكم أن تسمحوا لي بأن أعدد بسرعة ما قد تحقق في السنتين المنصرمتين.

قد بدأنا بالمهمة الأصعب وهي إيجاد توافق حول النموذج الممكن لنظام ضمان جودة في لبنان يأخذ في عين الاعتبار تطلعات مختلف الأطراف المعنية علماً أنّ إنشاء هيئة ضمان جودة هو تغيير جذري في حوكمة نظام التعليم العالي. وقد اقترحنا نموذج لقي موافقة الأطراف. بعدها قمنا بدراسة وتطوير المكونات الأساسية لهيئة ضمان الجودة المرجو إنشائها وأهم هذه المكونات: المعايير وآليات التقييم، اختيار وتدريب الخبراء، دليل التقييم الذاتي، وغيرها من الأدوات، إلخ. وقد اختبرنا هذه المكونات في تقييم تجريبي. نعم، قامت عشر جامعات لبنانية بعملية تقييم ذاتي وقدمت بنتائجها تقارير الدراسة الذاتية. وبناءً عليه خضعت خمسة جامعات اختيرت منها للتقييم الخارجي من قبل خمسة لجان شكّلت لهذه الغاية وتألفت من خبراء لبنانيين وأوروبيين.

وبالإضافة لهذه الإنجازات التقنية، استطعنا أن نبرهن أنه، بالرغم من التنوع الكبير في لبنان وفي التعليم العالي بالأخص، وإذا ما أتيح الإطار المناسب، يمكننا العمل سوية وأن ننق لدرجة فتح أبواب مؤسساتنا لأقران من مؤسسات شريكة في إطار أكاديمي بحث يخدم هدفاً نبيلاً ألا وهو ضمان تعليم ذات جودة عالية للأجيال الشابة. تمّ وصف هذا المسار والدروس المستفادة في الكتاب: "حول تصميم هيئة تقييم لضمان جودة التعليم العالي".

الآليات

كان هذا زرع لثقافة الجودة. ولكن ما هي الأدوات التي استخدمناها؟

كانت الحاجة هنا، ويثبت ذلك اندفاع الشركاء اللبنانيين ومشاركتهم الفعالة. من الاحترام المتبادل للشفافية تم تطوير مناخ من الثقة. في ظل هذا المناخ، امتزجت الخبرات والرؤى المتنوعة بشكل جميل دافعة إلى بذل المزيد من الجهود وبشكل تصاعدي للوصول إلى المزيد من الأهداف وباستمرار. غير أن أداة أخرى ما زالت تنقص. سعادة السفارة

إيخهورست، في آخر "يوم أوروبا" وفي مقركم الخاص، وبعد تعداد ميزات أوروبا الفريدة في خطابك، أوضحت للجميع، السلاح السري الأوروبي وهو: الحوار. لم يكن ممكناً الانتقال من الاحترام المتبادل إلى تعميق الثقة مع بذل الجهود لتحقيق أهداف المشروع من دون الحوار والوساطة. ونحن نعتقد في رسالتك، سيدتي السفيرة، لدرجة تطوير معيار الجودة التاسع المقترح في المشروع، النزاهة الأكاديمية، والتحديد من خلاله حاجة مؤسساتنا التعليمية لتعزيز قيم الديمقراطية في شبابنا، واحترام التنوع وحل المشاكل من خلال الحوار. هذا يستجيب لحاجة المجتمع المحلي. هنا سمحوا لي أن أعتنم هذه المناسبة لأشكر أوروبا، للدعم السخي، وليس فقط مادياً، بل أيضاً من خلال توفير الخبرات والوقت والحرص على بناء قدرات التعليم العالي اللبناني. ونذكر اليوم خاصة زملائنا من بلجيكا وفرنسا وإسبانيا والمملكة المتحدة الذين لم يستطيعوا المشاركة في هذا المؤتمر بسبب نصائح عدم السفر. ولا يسعني إلا أن أشكر زملائي من أوروبا لالتزامهم وتفانيهم طوال المشروع. وبالنظر إلى غلاف الكتاب يمكننا القول أن زوس أخذ أوروبا من هنا وقبل بضعة آلاف السنوات لم يكن أحد على هذه الأرض يجرؤ التشكيك بمنطق زوس. وأنا لن أشكك اليوم. ولكن بعيداً عن الأسطورة، وكما يقول المنطق فإننا لمحظوظين أن تكون أوروبا جارتنا.

التوصيات

ينتهي مشروع Tempus-TLQAA اليوم وهو يجب أن ينتهي. والآن ماذا؟

كما كتب رئيسي، الدكتور ايلي أ. سالم في الكلمة الافتتاحية للكتاب، "إنّ التزامنا في تحقيق هذا الهدف النبيل هو جدّي كما حاجتنا لإعطاء الأولوية لقيم التسامح والصدق، والشفافية، والمساءلة، في جميع مساعيها. وإنّ أي نشاط خارج هذا الالتزام هو فقط تكريس لأوجه القصور التي تتخلل النماذج التي هي مألوفة لنا جميعاً."

كان لمشروع TLQAA هدفين رئيسيين: تشجيع التفكير العميق والهادف في إطار المجتمع الأكاديمي حول مكونات هيئة ضمان الجودة، وطلب ضمان الجودة كحقيقة واقعية على مقربة من مؤسسات التعليم العالي اللبنانية من أجل دعم العملية التشريعية في هذا المجال. وبعد هذه الرحلة، لا يمكننا إلا اغتنام هذا الزخم والدعوة بوضوح مجلس النواب اللبناني للتصويت لإيصال هذا القانون والمباشرة في الهيئة اللبنانية لضمان الجودة المتوقعة.

ونوصي أيضاً المحافظة مستقبلاً على الروحية والنهج الذين اعتمدوا في TLQAA ليس فقط لكفاءة وشرعية أي عملية ضمان الجودة بل أيضاً وخاصة لتطوير روح أكاديمية أكثر تنسيقاً في نظام التعليم العالي اللبناني وربما أبعد منه.

ولدينا توصية أخيرة، وأمل، وربما وعد، وهو تحويل TLQAA من مشروع إلى مجموعة تعمل بشكل متواصل لخدمة الجودة في التعليم العالي في لبنان، من خلال تنظيم حلقات دراسية أو دورات تدريبية لخبراء جدد. إنّ وجود معنا اليوم لشركاء اجتماعيين واقتصاديين وممثلي المؤسسات الأكاديمية الغير شريكة في المشروع إنما يدل على أنه لا يمكننا إلا أن نوسع مجموعتنا. وأمل أيضاً استمرار التعاون مع شركائنا الأوروبيين في سياق مشاريع مستقبلية مما يسمح لنا الحفاظ وتطوير مشاركتنا كشريك متوسطي في النقاشات الدولية حول التعليم العالي.

وفي النهاية إنه لشرف لي أن أشكر سعادة الوزير دياب ممثلاً بالدكتور جمال، سعادة السفيرة إيخهورست، وبرنامج تمبوس، وأشكركم جميعاً كمعنيين في التعليم العالي اللبناني على اهتمامكم وتشريفكم لنا ووجودكم هنا اليوم، وأشكر اليلمند لاستضافتها هذا الحدث. إن شكري الخاص والخالص يعود بالتأكيد لكل شريك أو شخص عمل في هذا المشروع. لقد علمتموني الكثير ولقد تعلمت.

شفيق مقبل

منسق مشروع Tempus-TLQAA

5 كانون الثاني 2013